يوميات امرأة محاصرة

القدس:٢-٢-٢٠١٢ ناقشت الندوة مجموعة(**يوميات امرأة محاصرة**) القصصية للأديبة الفلسطينية **سما حسن** المقيمة في قطاع غزة، والتي صدرت في الأسبوع الماضي عن منشورات دار الجندي للنشر والتوزيع-القدس في ١٥٤ صفحة من الحجم المتوسط، وتحوي ٢٧ قصة.

بدأ النقاش **جميل السلحوت** فقال:

تدهشنا القاصّة الفلسطينية سما حسن مرة أخرى بمجموعتها القصصية الجديدة(يوميات امرأة محاصرة) الصادرة في أواخر كانون الثاني-يناير ٢٠١٢عن دار الجندي للنشر والتوزيع في القدس، فمجموعتها الأولى(مدينة الصمت) الصادرة عام ٢٠٠٨ عن منشورات أوغاريت في رام الله كانت لافتة بشكل كبير شكلا ومضمونا، وتأتي المجموعة الثانية لافتة هي الأخرى شكلا ومضمونا، فعنوان المجموعة(يوميات امرأة محاصرة)يدعو الى التفكر والتفكير، فالذي يعلم أن كاتبتنا تعيش في قطاع غزة المحاصر منذ حزيران ٢٠٠٦، يتبادر الى ذهنه أن الكاتبة تتحدث عن الحصار العسكري الذي يكتم أنفاس مليون

obeikandl.com

ونصف المليون فلسطيني في قطاع غزة، وهو هنا غير مخطئ، فالحصار الإجرامي على قطاع غزة موجود هنا وهناك في بعض القصص، والغارات الجويّة والقصف الصاروخي والمدفعي وغيره من أسلحة القتل والدمار موجودة هي الأخرى، لكن الحصار الأكبر الذي تعيشه الكاتبة هو حصارها كامرأة، فهي محاصرة بدءا من اسمها الحقيقي الذي لا تستطيع البوح به، لأنها ستمنع من الكتابة الإبداعية لو فعلت ذلك، وأديبتنا هنا لا تعبر عن نفسها كإنسانة منفردة، بل هي تعبر عن مأساة بنات جنسها في مجتمعاتنا الذكورية التي تسلب المرأة إنسانيتها، وهي ليست استثناء بالطبع، وإذا ما عدنا الى الحقيقة المؤكدة بأن الكاتب يكتب شيئا من حياته أو سيرته الشخصية في إبداعاته، فسنجد أن الكاتبة هي الأخرى لها همومها المشتركة التي تتقاسمها مع بنات جنسها، وقد تأخذ المرأة الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية تحديدا خصوصية في الحصار، تزيد عن نساء البلدان الأخرى، كونها تعيش تحت احتلال يحبس أنفاسها ويحاصرها في أماكن تواجدها كافة، بما في ذلك بيتها الذي لا تستطيع أن تعيش فيه بأمن وأمان كبقية البشر. وهي محاصرة في قالب التقاليد والعادات المتخلفة، التي تجعل الأنثى في مرتبة أقل من شقيقها الذكر، فتعاني من التمييز منذ ولادتها، ويلاحقها الحصار في طفولتها المبكرة عندما تمنع من اللعب مع أقرانها الأطفال الذكور، ليأخذ الحصار أشكالا متعددة عندما تصل الى سن البلوغ، فقد يتم تزويجها ضد إرادتها، أو أن لا يكون لها رأي في اختيار الزوج، وعليها أن لا ترفض للزوج أمرا، ولا تقتصر طاعاتها للزوج فقط بل تتعداه الى أبناء أسرته

كافة، خصوصا الحماة والحمى، وعليها تقع مسؤولية تربية الأبناء والعمل المنزلي، حتى وإن كانت موظفة بعمل يحتاج جهدا ووقتا أكثر مما يحتاجه عمل الزوج، أو عليها أيضا أن تعمل في حقول أسرة الزوج وغيرها بدون أجر....وهكذا. وكثير من النساء قد لا تتوافق مع الزوج، لكنها مجبرة على الرضوخ له، لأن خلاصها منه ليس سهلا، وعواقب الطلاق وخيمة في مجتمع له نظرته السلبية للمرأة المطلقة، وإذا ما تطلقت فإنها قد تحرم من حضانة أبنائها الأطفال، أو قد تحرم حتى من رؤيتهم واحتضانهم....الخ.

ويلاحظ انحياز الكاتبة لبنات جنسها من الصفحة الأولى في مجموعتها القصصية، والمتمثلة بالإهداء، حيث أهدت المجموعة الى:" روح أمّي الحبيبة الراحلة، شهيدة حصار قطاع غزة التي نسيها العالم....إلى ابنتي التي علمتني أن الحياة إرادة" وكأني بها تقول بأن معاناتي جزء من معاناة أمّي الراحلة، وأتمنى أن تغير إرادة جيل الشابات من جيل ابنتي المعادلة، وأن يتحررن من القيود التي كبلت الأمّهات والجدّات.

والقارئ لقصص سما حسن سيجد أنها امرأة تركز على حقوق المرأة، وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم، فدائما ما نجد الجدّات والأجداد الذين يحدثون أحفادهم بشكل دائم عن أيّام العزّ في الديار التي تمّ تشريدهم منها، وهذا هو سبب حياة الذلّ والهوان الذي يعيشونه في مخيمات اللجوء، وهي تركز أيضا

على حق شعبها في تقرير مصيره، وإقامة دولته المستقلة بعد التحرر من الاحتلال وكافة مخلفاته.

وسما حسن التي تملك موهبة القصّ الجميل، تملك لغة أدبية انسيابية، وأسلوبا مشوقا تحلق من خلاله في عالم القصّ الذي يجذب القارئ، لا تطرح أهداف قصتها بشكل مباشر، لأنها تعي جيدا أن ذلك بعيد عن الإبداع الأدبي، ولا يلقى قبولا عند المتلقي، لذا فهي تطرح المشكلة أو الحدث بطريقة فنية، فتسيطر على عاطفة القارئ، وتترك لذكائه فَهْمَ ما بين السطور، وهذا هو الإبداع.

ولعل قصتها "الزوجة الثانية"ص١٣ تشي لنا بقدرتها على الفنّ القصصي، والزوجة الثانية"الضرّة" هنا هي الصحيفة اليومية، المشترك زوجها فيها وتصله يوميا الى البيت، تثير حفيظة الزوجة التي ترى فيها ضرّتها، والقارئ لهذه القصة يتخطى أكثر من نصف القصّة وهو يحسب أن للزوجة ضرّة حقيقية، ليكتشف أن الحديث عن صحيفة تشغل الزوج الناشط سياسيا عن زوجته، وكأنّي بالقاصّة هنا تلفت انتباه الأزواج الذين تشغلهم أعمالهم واهتماماتهم عن بيوتهم، فلا ينتبهون لاحتياجات الزوجة والأبناء.

وفي قصّة"لا" التي تتصدر قصص المجموعة، نجد عبوديّة المرأة في مجتمعاتنا، هذه العبوديّة التي لا تسمح للمرأة بأن تقول"لا" التي هي أقصر الكلمات في لغتنا حسب تعبير الكاتبة، فهي تتمنى قولها، لكنها غير قادرة على فعل ذلك.

فالزوجة تبدأ يومها"تهرع الى الحمّام المصبوب بالإسمنت الرخيص، وتقف في"الطشت"، ثمّ تصب الماء فوق رأسها ثلاثا لتزيل بقايا زوجها عن جسدها، وتهرع لتعجن، وتخبز، وتعد الطعام للعائلة الكبيرة، حيث يذهبون للحقل القريب الذي يملكه والد زوجها، يظلون في عمل لا ينقطع، وهذا وهذه وتلك، لا يعرفون هتافا إلا باسمها:هاتي تعالي، احملي، ارفعي." ص٨

وبعد كل هذا فان"زوجها لا يرحمها، يوقع برجولته على جسدها المنهك كلّ ليلة، يكون متعبا أكثر منها" ص٩ وهو" لا يتوقف عن ممارسة هذا العمل حتى مع بداية حملها" ص٩

ولا يجد لها عذرا "لا شيء يمنعني من حقي، حتى لو كان القادم فارسا سيحرر فلسطين"ص٩. وهي لا تملك أن تقول"لا" مما جعلها تتيقن"أن جسدها ليس ملكا لها، مثل يديها، هما ملك لتلك العائلة التي لا تعرف منها سوى يدين ورحم"ص١٢ وهذه ذروة المأساة حيث التعامل مع المرأة كيَدٍ عاملة ولتفريغ شهوات الزوج وللإنجاب.

وفي قصة"حلم واحد" تتجلى مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وحصار قطاع غزة والمآسي التي تصاحبه، فالأسرة المكونة من الجدة الأرملة، التي مات زوجها وهو يحلم بالعودة الى قريته وبيته، تاركا إياها مع ابن طفل لا يلبث أن يكبر، ويتزوج ويخلف إبنا لا يلبث هو الآخر أن يسقط شهيدا تاركا أرملة حاملا بطفل بعد زواجها بأربعة شهور، وتعيش الأسرة حياة الفقر والعوز، وعندما تذهب

الكنّة لاستلام مخصصات الأسرة من وكالة غوث اللاجئين، يخبرها الموظف بأن"موعد تسلمكِ لمخصصاتكم بعد ثلاثة أيام، أي في اليوم الأول من العام الجديد"فتعود خائبة، وفي هذه الأثناء يشتري ابنها الطفل قطعة حلوى بنصف شاقل" منحته إياه جارتهم الثرية وهي تعرج على جدته لتطلب منها أن تلقط"الخوفة"لطفلها الرضيع"ص٢٠، ملفوفة بصورة المائة دولار، فيحسبها عملة حقيقية، ويطير بها فرحا الى جدته، التي فرحت بها هي الأخرى معتقدة أن حفيدها عثر عليها في الطريق"فحدثت نفسها:ستكون مفاجأة لزوجة ابني، سوف أعطيها لها، وستكون حتما كافية لشراء أنبوبة غاز من تلك الأنابيب التي تسمع أنه يتم تهريبها عبر الأنفاق الى غزة التي أصبحت تمتلئ بيوتها برائحة الكاز والكيروسين"ص٢٠. ولمّا أعطت الجدّة ورقة الحلوى لكنتها أمّ بلال"حملقت بها قليلا، ثمّ سرعان ما ضحكت ضحكة مريرة: هاي يا عمتي ورقة مزيفة من اللي بيحطوهم في حلوى الأطفال"ص٢٥، غير أن الطفل الذي كان يحلم بتحقيق حلم جدته وأمّه بشراء أنبوبة غاز، لم يصدق أنها زائفة، وبقي مصرا على رأيه" والتحف الصغير فراشه ويده تطبق على الورقة، وبدأ يحاول النوم وهو يتخيل أنبوبة الغاز التي سيشتريها"ص٢٥، ونامت الأسرة الصغيرة لتصحو على أصوات انفجارات تهز البيت" ولكن في لحظات لم يبق للبيت أي أثر. في الصباح وحين كان رجال الإسعاف يبحثون بين الأنقاض، عثروا على الكثير من الأشلاء الآدميّة المتناثرة، ومن بين الأشلاء عثروا على كفّ صغيرة لطفل

صغير، ولكنها كانت مطبقة بقوّة على ورقة تبدو من بعيد كأنها..مائة دولار"ص٢٦.

وسأكتفي بهذه النماذج القصصية الثلاثة، مع التأكيد على أن كل قصة في المجموعة تحمل حدثا داميا للقلوب وللأجساد، نابعا من معاناة شعبنا.

ويلاحظ أن سما حسن في مجموعتها القصصية هذه، وكما في مجموعتها الأولى"مدينة الصمت" تميل الى عدم ذكر أسماء أبطال قصصها، فهي إمّا تتكلم بلغة الأنا، أو بضمير الغائب، لتكون القصة أكثر حميمية، وأكثر شمولا، فأحداثها لا تقتصر على شخص بعينه.

يبقى أن نقول بأن سما حسن تثبت نفسها على ساحتنا الأدبية كقاصّة متميزة رغم كل معاناتها، ولربما تكون معاناتها سببا من أسباب أبداعها، فالإبداع قد يولد من رحم المعاناة.

وقالت **نزهة أبو غوش**:

نجحت الكاتبة سما حسن باختيارعنوان كتابها " يوميّات امرأة محاصرة"؛ لأنّها فعلا إنسانة محاصرة، نفسيًّا، واجتماعيًّا، وأمنيًّا، فجاء حصارها، حصارًا يغلّفه حصار داخل حصار داخل حصار.حصارها كأُنثى أوّلا من قبل المجتمع ككل، والرّجل بشكل خاص، لم تستطع الكاتبة سما أن تفُكّ ولو جزءًا قليلا من حصارها، بل أحكمت هذا الحصار على نفسها، فاختارت لنفسها اسمًا مستعارًا.

أمّا الحصار الثّاني، فهو حصار المجتمع الّذي يغلّفها بقوانينه ومعتقداته، ومعاييره الاجتماعيّة، والحصار الثّالث هو حصار كونها امرأة مهاجرة، وليست مواطنة أصليّة في المدينة، والحصار الأكبر هو حصار المحتل الّذي يجثم فوق قطاع غزّة والمدينة الّتي تقطنها .

قبل قراءَتي المجموعة القصصيّة توقّعت أَن تحطِّم الكاتبة سما في قصصها كلّ الدُّنيا، وتلعن التّقاليد والأعراف البالية الّتي يتمسّك بها المجتمع، توقّعت أن تتحدّى سلطة الرّجل عليها وجبروته، أَن تنقد الوضع السِّياسي المدمّر، والانقسام الفلسطيني البشع، وتلعن الاحتلال الجاثم على المدينة، وتتحدّاه بكلّ قوّتها، لكنّها لم تستغلْ من إخفاء اسمها هذه الامكانيّات، لكنّ الكاتبة استطاعت أَن تربط بين قصصها ال٢٧ بمواضيع مشتركة تعبرّ بها عن آلام المرأَة في مجتمع اعتبرها من الدّرجة الأخيرة فيه، وموضوع آخر هو الإِنسان الفلسطيني المهجّر عن أَرضه.

من يقرأُ قصص الكاتبة سما حسن، يجد بها متعة وتشويقا، حيث تجذبك القصّة بأُسلوبها السّردي، وعباراتها الليّنة السّلسة، وتشعر بأَنّ القصّة واقعيّة بدرجة كبيرة؛ لأَنّها تصف واقعًا مرّا موجودًا على أَرض الواقع,

نجحت الكاتبة سما حسن في وصف الأحداث، والصُّور، والمشاعر بمعظم القصص، فكانت قضيّة الوصف هي القضيّة البارزة للمجموعة. وصف الطّالبة اللاجئة الّتي تشعر بالدّونية عن صديقاتها، استخدام الأمتعة والملابس المستعملة

الّتي توزّعها الأونروا، حتّى الكتب المدررسيّة المتّسخة والبالية، كذلك معاملة اللاجيء من قبل المعلّمين والمدراء، " وأَذكر السؤال الثّاني الّذي سألني إِيّاه المعلم:

"هل أَنت مواطن أَم لاجيء؟"

ولمّا لم أَعرف الإِجابة، فقد سأَلني بسخرية:

"يعني يا شاطر..أُمّك بتروح على مركز التّموين وبتجيب سكّر وطحين ورز كل شهر والا لأ؟"

رددت بأن هززت رأسي للأَسفل، وتركت المعلم يسجّل باقي البيانات." الكتاب ص٥٢"

الرّجل في قصص الكاتبة بدا في أَغلب الأحيان رجلا سلبيًّا جِدّا فهو متسلِّط، لا يأخذ برأي المرأة ولا يحسب لها أيّ حساب، حتّى في حقّها معارضته في ممارسة العلاقة معه، وقد بدا ذلك واضحًا في قصّة "لا" تلك الكلمة الصّغيرة جدّا الّتي لم تقدر على أن تقولها حتّى بينها وبين نفسها. بدا الرّجل أَيضًا إِنسانًا غدّارًا كما ظهر في قصّة" جلباب أَبي"و قصّة الوهم، حيث استغلّ الزّوج زوجته الكاتبة، المتعلمة طوال حياتهـــا لتكتشف بعد وفاته من خلال دفتر يوميّاته بأَنّه كان يستهزئ بها وبتضحياتها من أَجله:

"أَخذت تقرأُ بعينين هلعتين سيلا من المبالغ الّتي حصل عليها زوجها منها بدون علمها...والأكثر مرارة كانت تقرأ الصِّفات التي ينعتها بها منها، مثلا: السّاذجة، والعبيطة، والسِّت الأديبة المغرورة" –الوهم ص ١٠٦-

في قصّة كاتبة مغمورة بدا غدر الرّجل بصورة أُخرى، حين دعاها لحفل كبير باعتبارها كاتبة مهمّة، وهناك تكتشف بأنّه يقيم حفلا سمّاه " ندوة حول الكتّاب الفاشلين"

بدا الرّجل أَيضًا بصورة الإِنسان المرعب الّذي يصفع زوجته، ويضربها دون أَيّ اكتراث" " أَصبحت أَخافه، أَخشاه، وأخشى أَن أَبقى معه بين جدران أَربعة. لقد رأيت حين ضربني وحشًا لا أَعرفه، وحشًا كان يستطيع أن يقتلني" – يا قلب لا تغفر ص ١٠٩– كما كان الرّجل مخيفًا ذا ردّة أَفعال مرعبة، حتى نتيجة لحدوث الأشياء العاديّة الّتي تحصل دائمًا، مثل وقوع طفلته على الأرض واتّساخ ملابسها، وزيارتها لبيت صديقه لكي تنظّف زوجته ملابس الأمّ والطّفلة، خوفها اضطرّها لأن تكذب عليه – قصّة، كذبة نيسان– ص٩٣

بدا الرّجل أيضًا بصورة الغبيّ، والعبيط، والعاطل عن العمل ينتظر أن تصرف زوجته عليه، كما في قصّة" اللعبة". من خلال هذه الصُّور السّلبية الّتي وصفت بها الكاتبة الرّجل، يمكننا – ربّما – أَن نجد لها مبرّرًا لاختيارها اسمًا مستعارًا بدل اسمها الحقيقي .

يمكنني القول أَخيرًا بمدى قدرة الكاتبة على التّعبير اللغوي، واستخدام السُّخرية الأدبيّة، وإِظهار المفارقات في حياتنا، مثل قصّة " علبة سكر"، حين ماتت الجدّة بسبب ارتفاع نسبة السُّكر في دمها، بينما تخلو علبتها من أَيّ ذرّة للسّكر. – علبة سكّر ص٤٣-

أَرى أَن المباشرة، والسطحيّة غلبت على القصص، وقد خلت تمامًا من الرّمزيّة، ولوكان فيها القليل من العمق الفلسفي، لاكتمل إبداع الكاتبة.

وقال **رفعت زيتون**:

كان يكفيني ان أقرأ آخر خمس صفحات من المجموعة القصصية لأرى اللوحة كاملة بكل أو بأغلب ألوانها وأبعادها وظلالها التي أرادتها الكاتبة.

هذه الصفحات الخمس الأخيرة احتوت على ثلاث قصص قصيرة، وضعتها الكاتبة تحت عنوان واحد هو (من يوميات امرأة محاصرة في غزة) لخصت حالة الحصار هذه التي أرادتها الكاتبة حصارا ليس على إنسان قطاع غزة عموما، ولكن حصارا على نساء غزة خاصة، ففي القصة الأولى كانت البطلة هي تلميذة في مدرسة، تقوم بالدراسة ليلا على ضوء الشموع، وانتهى بها الحال إلى العمى، وفي القصة الثانية من ذات المجموعة، تحدثت عن الأمّ وكيف أن الحصار أودى بحياتها، ممّا أدخل الألم الى قلب ابنتها، ولازمها طوال حياتها، وفي القصة الثالثة من المجموعة ذاتها تحدثت عن سيدة وأطفالها، وكيف تحول انقطاع الكهرباء إلى معاناة يومية حتى في حضورها.

في هذه القصص الثلاث كما في كثير من القصص الأخرى، غيبت الكاتبة الرجل الغزيّ عن حالة الحصار، وكأنه كان خارجه يعيش في بحبوحة من العيش الرغيد، وربما تفهمنا بعض هذه القصص تجاوزا لتحدثها عن حالة خاصة من الحصار، وهي أثر الحصار على نساء غزة خاصة، ولكن ما لا يمكن أن نتفهمه، ولا يوجد له مبرر، ولا أساس هو جعل الرجل الغزيّ جزءا من هذا الحصار، بل ومكملا له. فالاحتلال يبدأ الحصار اقتصاديا وسياسيا، ليأتي بعد ذلك الرجل الغزيّ ليقوم بمهمة الحصار الجسدي والنفسي على المرأة. وهذا ظلم للرجل الغزيّ المناضل والشهيد والجريح، وفيه كل البعد عن الواقع والموضوعية، حتى في حالة خيانة الزوجة لزوجها حاولت أن تجد لها المبرر، وأن ترجع السبب لزوجها، وأكملت الصورة السيئة للرجل بأن جعلت الإبن وحشا ينهش جسد النساء انتقاما، فهل هذه هي الصورة الحقيقية لرجل غزة التي تريد الكاتبة أن تنقلها للعالم؟

لا أنكر أن الكاتبة قد تعرضت لكثير من القضايا التي يعيشها الغزيّ في حالة الحصار، كقضية اللاجئين ومعاناتهم، وقضية الممارسات السيئة ضد الأطفال، كما جاء في قصة (باب مغلق) وهذا يُحسب لها، ولو أنها جاءت بلغة بسيطة تكاد تخلو من الصور والتراكيب الإبداعية.

وبعيدا عن الاختلاف أو الاتفاق مع الكاتبة على طبيعة هذا الحصار، ومن هم ضحاياه؟ وما هي أسبابه؟ ومن هم مسببوه؟ فأقول للموضوعية أنها في بعض

القصص كنت قاصة متمكنة من أدوات الكتابة القصصية بلغة جميلة،- رغم بساطتها- ونجحت في تشويق القارئ في بعض القصص، وجعلت القارئ يخرج زفرات الحزن عند قراءتها، كتلك القصة التي تحدثت عن الطفل والمئة دولار المزيفة، ونجحت كذلك بإخراج الضحكة تارة أخرى في قصص كقصة (الزوجة الثانية) وقصة (بالجملة).

كان هناك بعض الخطأ المطبعي والنحوي، ولم يكن بالكثير .

وقد وجدت في بعض القصص إطالة لا داعي لها، ووددت لو أنها أنهت القصة في موقف سابق يصلح أكثر لختم القصة .

وكان هناك بعض التكرار للأفكار والجمل في بعض القصص، كما في قصتها الأولى (لا) وهذا يضعف المبنى العام للقصة.

وقال **طارق السيد**:

يوما بعد يوم، أتحول إلى امرأة محاصرة، خصوصا حين أخرج إلى السوق وأجد أحد السائقين يسكب زجاجة من زيت الطبخ الذي سبق استخدامه في داخل صهريج السيارة المعدّ للبنزين أصلا، وحين أستقل السيارة فأنا أختنق برائحة الزيت الكريه المنبعثة من مقدمة السيارة، وحين أصل المكان المقصود يهتف السائق ممازحا (اللي انقلى ينزل)

مجموعة قصصية للكاتبة (سما حسن) تحمل عنوان(يوميات امرأة محاصرة) لفت انتباهي اسم الكاتبة الذي اختلط للوهلة الأولى مع عنوان المجموعة، لمساواته في الحجم والقرب في المساحة، وتقدم اسم الكاتبة على اسم المجموعة .

لوحة الغلاف للفنان البلجيكي (بين جوسينز) الذي يظهر من خلال لوحته امرأة أوربية متقوقعة في عالم حلزوني يطل على نافذة في فن سريالي ...المرأة الأوربية ذات الثوب الريفي الأوربي الذي يعود إلى القرون الوسطى، لا يمد بصلة إلى حصار امرأة عربية في قطاع غزة في الوقت الحالي...

أمّا بالنسبة للقصص المتنوعة التي غاصت الكاتبة في سردها/ فيبدو عليها الوضوح سواء في المعاني أو المصطلحات، والبعد عن أيّ إيحاء به لغز على الرغم من جمال الأفكار، التي أظهرت شريحة اللاجئين في قطاع غزة وسط الفقر الشديد، وتطرقت إلى أهم ما يتعرض إليه أللاجئ في صراعه مع الحياة.

وكان ذلك واضحا من خلال الأمثلة التالية:

(هل أنت مواطن أم لاجئ ؟) ص ٥٢ السطر الخامس، كلمة لاجئ والخجل من الإجابة بالتعريف بهذه الكلمة ...والعجوز البقال في نفس القصة الذي يبيع العدس الرديء للناس، والذي يحصل عليه من (الأونروا) والأصل أن يوزع مجانا...

قضية اللون الأزرق الذي سبب للأطفال نوعا من الاكتئاب، وكأنهم يعيشون في دولة حدودها ورايتها زرقاء.

أمّا بالنسبة للون الدرامي الاجتماعي فإنه يظهر بوضوح في قصة ..علبة سكر..وقصة هنئوني أنا لاجئة .....وتعمقت المأساة في قصة حلم واحد.

القضية الأساسية التي غلبت على طابع القصص شخصية المرأة الفلسطينية المضطهدة سواء في الفراش كما في قصة (لا) أو اضطهاد سياسي كما في اللوحات التي وردت تحت عنوان (من يوميات امرأة محاصرة في غزة).

أو حتى اضطهاد عاطفي كما مرّ في (يا قلب لا تغفر)، ونجد شخصية المستغل في عالم المخيم في (عبيط المخيم).

*الأسلوب في معظم القصص سردي وأقرب إلى أسلوب تلقين مادة أدبية على الرغم من جمال الأفكار، والقدرة في جذب القارئ من خلال بساطة المعاني وسلاستها، واستخدام بعض الألفاظ الغزيّة كما في قصة (نوع آخر)، الاستعارات والتشبيهات تكاد تكون شبه معدومة، حتى الألوان البديعية لم تستخدم في القصص، ووقعت الكاتبة في الفخ السردي المباشر، ولم تلتفت لتخصيص وجبة دسمة من لوحات وصور فنية.

النهاية في القصص كانت من نصيب الكاتبة، وكانت تختار النهاية بنفسها وكنت أتمنى لو تركت الكاتبة قصة ليغلقها القارئ بخياله.

وبعد ذلك جرى نقاش حول المجموعة، **وقد اعتبر ابراهيم جوهر هذه المجموعة تراجعا في فنية القصّ عندما سما حسن، قياسا بمجموعتها الأولى مدينة الصمت).**

obeikandl.com

حبـــــّات السكـــــر

القـــــــــدس: ٢٢-٣-٢٠٠٥ ناقشت الندوة رواية "**حبات السكر**" **للأديبة الصاعدة مايا أبو الحيات** تقع الرواية الصادرة في العام ٢٠٠٤عن المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي في رام الله في ٧٩ صفحة من الحجم المتوسط.

بدأ النقاش **جميل السلحوت:** – يلفت الانتباه ما جاء على الصفحة الثانية بأن اسم الرواية هو: "الشاعرة والشيخ" وهذا هو الاسم الذي اختارته الكاتبة لعملها الأدبي هذا، وهو في نفس الوقت عنوان لباب في الرواية، لكن يبدو أنّ الناشر قد اطلع على العمل أو على الصفحة الأولى منه بعد صفه و"منتجته" فالتقط "حبات السكر" التي وردت في السطر الأول واجتهد أن تكون اسما للرواية، والله أعلم إن استشار الكاتبة في ذلك أم لا، لكنه لم يجهد نفسه بتغيير الاسم الأول "الشاعرة والشيخ" الذي بقي على الصفحة الثانية.

وكما يذكر الأخوة المشاركون في الندوة فإننا قد اقترحنا هذا النص الأدبي للنقاش دون معرفة بصاحبته، حتى أن أحدا منا لم يكن يعرف شيئا عنها أو عن مكان سكنها، إلى أن تبرع الزميل أسعد الأسعد في الندوة السابقة التي ناقشنا فيها

روايته "عري الذاكرة" فأخبرنا أنّها شابة في مقتبل العمر وطالبة في جامعة بيرزيت.

والقارىء لهذا النص الأدبي يجد نفسه أمام أديبة واعدة تمتلك لغة أدبية فيها من الشاعرية والبلاغة والجمالية الشيء الكثير، فهي مليئة بالصور والتورية والتشبيهات والمجاز والكناية، مع كل ما و رد فيها من أخطاء نحوية كان يمكن تلافيها لو تمت مراجعتها وتدقيقها.

وهذا النص الذي جاء في سبعة أبواب يربطها خيط دقيق جدا وهي بحاجة إلى أكثر من قراءة متأنية حتى يستطيع القارىء ربطها ببعضها البعض، وليجد نفسه أمام عمل روائي يخلو من القصة أو الحكاية الروائية التي اعتدنا عليها، مع أنها محشوة بالأحداث وبتداخل الشخصيات، وبالتساؤلات الفلسفية العميقة المتداخلة والمتفرقة، أحيانا، والمنسجمة والمتنافرة أحيانا أخرى. إنها رواية القلق وعدم الاستقرار في مختلف المجالات والاتجاهات التي يعيشها الجيل الصاعد من أبناء الشعب الفلسطيني نتيجة لتأثيرات ومؤثرات داخلية وخارجية كثيرة. إنها فلسفة هذا الجيل الحائر والقلق، وكما جاء على لسان عبد الله وهو في المعتقل عندما يتحدث عن الآخر بقوله "تسير معا في عصر الحداثة المزورة، والحقوق المنحازة، والعدالة العالمية العمياء" ص٤٩، وهذا الجيل تتنازعه تيارات كثيرة، فهو حائر بين الحياة التقليدية والدينية التي تربى عليها، والتي تضعه في قوالب ثابتة لا يمكنه الخروج منها، وبين ما يشاهده في الفضائيات، وما يقرأه في

الجامعات و الكتب الأخرى وعالم شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت". لذا فهو حائر متقلب تتقاذفه العواصف والأمواج، وهو دائم البحث والتفكير انه كما جاء على لسان سحر لعبد الله: "لا أزال سليمان الباحث عن الحقيقة" ص١٠ وسليمان هذا هو سلمان الفارسي "أول سفير في الإسلام" ص٦٥ الذي جاب بلاد الفرس والعرب باحثا عن الحقيقة حتى وصل إلى النبي محمد صلوات الله عليه. وسحر هذه تائهة بين الإيمان والكفر استشهدت أكثر من مرة بآيات من القرآن الكريم لتزرع نفسها عما يدور فيها من عدم إيمان، إنها تفلسف الأمور وتنظر إليها بعين مشككة لذا فهي تقول "في البدء قبل نزول الديانات... احتاج البشر للأمل فخلقوا الهتهم"ص٦٦.

وهي تتعامل مع الموت بطريقة فلسفية أيضا فليلة استشهاد عامر وعندما كان يصارع الموت تقول:- "كنت في سريري بحالة خدر، نظرت إلى سمائي، كانت بلا لون، كلمتها أو ربما ظننت أنني أفعل، رجتها روحي، استعطفتها، لا تأخذيه، له عمل هنا، لي أمل فيه... " ص٦٧ وركبتها الكوابيس تلك الليلة لتستيقظ في الثالثة صباحا وهي تحلم بعامر، فماذا فعلت؟؟ تقول: "رقصت له رقصة "زوربية" الأصل، الرقص بوح وجاذبية، الرقص نفض للذاكرة". ص٦٧ ثم تتساءل بلوعة :- "هل غادر الحياة ليسكنني في لحظة شبق؟. ربما" ص٦٧ اذن فعامر الشهيد غادر الحياة بجسده لكنه سيبقى في وجدان حبيبته لأن "الذاكرة مصيدة أيضا" ص٦٧.

والرواية تطرح الحب بطريقة فلسفية ومتناقضة أيضا، فهي في دوامة الصراع بين متطلبات الروح والجسد، وبين ما يمليه الدين وموروث التقاليد، "لكنني استسلمت، انه الحب، أي فكرة محرمة يمكن أن تضبطه؟ وأي وسيلة يمكن أن تجعله مقبولا في مجتمع الرغبات المكبوحة هذا"؟ ص٧٥.

والحبّ عندها مرض: "الحبّ يتجمع كورم، يختلف مسماه، فهو أحيانا حميد وأحيانا أخرى خبيث مجرم، لكنه في الحالتين يستقر قرب القلب" ص٦١ واذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الأورام في غالبيتها خبيثة وأن لا نجاة منها فكذلك الحبّ، لا مناص من الوقوع في حبائله.

وفي الرواية نقد فلسفي لاذع للعلاقة الزوجية في هذا المجتمع الذكوري، فالأب دائم الضرب والشتم لزوجته ولبناته الخمس، ولأنه يريد ابنا ذكرا فقد طلق زوجته ليتزوج من أخرى، والزوجة فرحة بذلك الطلاق فترد عليه: "لقد تخلصت منك أخيرا... وهو يصيح: أنت طالق طالق... وهي تزغرد وتضحك بهستيريا". ص١٤ وتصف البنت أميمة تلك اللحظة بقولها: "أمي التي استمرت بصمتها خمسة وعشرين عاما، قدمت استقالة أخيرة، استقالة لجسدها الذي استعملته الحياة وعاء نضحنا نحن البنات الخمس دون متعة..... وصلت إلى ما فوق الإشباع فاكتفت وهربت" ص١٥.

ونلاحظ هنا مدى بشاعة وقبح الوصف عند الكاتبة عندما اعتبرت رحم المرأة حفرة امتصاص، ووصفت عملية الولادة خصوصا ولادة البنات بنضح المجاري.

وهذا وصف وحشي فيه إساءة للجنس البشري ذكورا وإناثا، وفيه تنفير من العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة. وفي دفاعها عن والدتها وشقيقاتها فأنها تسيء أيضا لبنات جنسها في شخص عمتها "سمية" التي احتضنتها وشقيقاتها بعد خروج الأم من البيت اثر خلاف عائلي في فترة سابقة عندما تصفها :"كان ينقصها شارب لتصبح صورة طبق الأصل عن والدي" ص١٧.

وأميمة هذه تخاف الزواج مع أنها تعرف الحب وتفهمه، لذا وبعد الإفراج عن عبدالله من السجن تذهب من رام الله إلى نابلس لتلتقيه وتصف مشاعرها قائلة: "لم أرغب معه بما ترغب به الأنثى مع رجل تحبه" ص٨٥ ... وتواصل قائلة:- "كنت أعرف إن قلبي أمسك يدي وقادها حيث يوجد عبد الله، وكنت سعيدة.... وكانت سعادة خانقة، وأنا كما أسلفت عصفور، ولا أريده أن يختنق في هذا القفص" ص٨٥ وهكذا فإنها تعشق الرجل وتريده، لكنها لا تريد علاقة زوجية معه، فهل شكلت لها علاقة أبيها مع أمها عقدة نفسية؟؟ أم ماذا؟؟

والرواية مليئة بوصف الصراعات السياسية بين الطلبة في الجامعات لذا فهي تصف الجامعة بعد انتخابات مجلس الطلبة، والخلافات بين الكتل الطلابية بأنها تحولت إلى "مكب" للنفايات السياسية والفكرية". ص١١

وفي الرواية أيضا وصف للمظالم التي يوقعها الاحتلال بالشعب الفلسطيني، من خلال استشهاد عامر، وسجن عبدا لله وما تعرض له من تعذيب، ووصف لمعاناة الفلسطينيين في التنقل بين مدينة وأخرى، خصوصا خلال الانتفاضة الثانية.

فماذا تريد الكاتبة من عملها الأدبي هذا؟؟ أنها تريد أن تنقل واقع التشظي والمعاناة التي يعيشها الجيل الجديد في ظل الأوضاع المأساوية التي يعيشها الشعب والوطن، لذا فهي تخاطب مدينة نابلس في آخر الرواية قائلة :"أعدك بحبك، فقد قررت أن أتعلم الحب من جديد:- ص٩٧ بعد أن قالت لها قبل ذلك بقليل "منهكة أنا وينقصني الدفء واستقرار المعنى" ص٩٧.

وبعده تحدث **محمد موسى سو يلم:**

بدأت الرواية دون أي مقدمات ولم أدرِ عن أي شيء تحدثت الكاتبة في "تداعيات" من ص٦ ... ص١٢ حيث طرحت عدة حوارات او حوادث "توقفت عن عرض كتاباتها علي وأنا لم أصر على ذلك... اكتفيت بتصديق حدس انثوي داخلي يخبرني انها تمارس ا لحب كفرا، حبّا خارجا عن النص" ص٦ ترى كيف يمارس الحبّ كفرا وكيف يكون خارجا عن النص اذا كان يعني كما فهمته بسذاجتي فهذا ليس حبّا... إنّه إهانة واستهتار بالحبّ الذي يمثل قيمة انسانية.

تحدثت الكاتبة عن الدراسة الجامعية بشكل سريع جدا من جلوس في محاضرة الجغرافيا قافزة إلى الانتخابات والمبادىء والصداقة والفكاهات الجامعية، ودخول العم أبو سعيد ولا أعرف من هو وما علاقته بالانتخابات والأجواء الانتخابية الجامعية؟

حين قرأت تلك المقدمة إن صحّ التعبير شعرت بأنني أمام أحد مدرسي علم النفس وعلى مقاعد الدراسة الجامعية فاغرا فمي مشدوها ابلها .

"خذّ وظرى عالطيم" ضرب وشتم وبصاق وأخيرا طلاق الأم... علما إنه طلاق لا مبرر له في الرواية ، وان إنجاب الأطفال ذكورا وإناثا سبب غير مبرر أيضا من خلال تجربتي أقول ان الطلاق هو احد أسباب الانحراف، ثم ان شتات الأسرة مع وجود زوجة ألأب إن كانت قاسية هو أيضا احد أسباب الانحراف وزوال الدفء الاسري .

حديث المعتقل عن يومياته في السجن وطرق الاتصال وإرسال الأخبار والتحقيق والعصافير والأساليب المتبعة في ذلك والصحبة والذكريات وحكايات المحتل والعملاء والخراب بعد كل اجتياح .

الذهاب إلى محكمة صديق أو حبيب دون علم الأهل، والغياب عن البيت دون حسيب، والعودة دون أن يشعر أحد بهذا، ترى ألهذا الحد وصلنا؟ أحلام وكوابيس الليل وخيالات الإنسان تجعل من هذه الأحلام رواية وذكرى رام الله والموضع النفسي الصعب وزيارة العيادة والطبيب المعالج والتشخيص للأمراض بالأسلوب الاستقرائي من قبل هذا الطبيب والدخول إلى مكامن ألازمة الحقيقية. الاكتئاب وأنواعه، خروج الأم من حياة الأسرة والزواج لتكون أسرة أخرى وزواج الأب من امرأة أخرى.... ! جعل فراغا لا يمكن ملؤه إلّا بزج الأفكار الحسنة والسيئة والابتعاد والهرب من الأجواء المعبقة لتفهم مشاعر الآخرين وطرح باب الذكريات لتكوين جو من الألفة والمحبة والكره والتغاضي عن المأساة التي حلت بالأسرة....

لم يبق إلّا أن يصدح لنا العندليب الأسمر بأغنيته حييتي من تكون، أو أم كلثوم كوكب الشرق بأغنية ذكريات داعبت فكري وظني، أو فيروز في أغنية كان الزمان وكان... أو سميرة توفيق رفّ الحمام مغرب مجوز ولا فرداوي... "اكفي الجرة عتمها بتطلع البنت لأمها" يالطيف نفسر الأمثال كما نريد يذكرني بأحد الأصدقاء حين قال لي يوما أتدري كيف نتعامل في قضية الزواج؟ قلت نعم "شوف اذا البنت حلوة نقول ابن العم بنزل عن ظهر الفرس وإذا البنت مش كثير نقول الرسول عليه الصلاة والسلام قال "غربوا النكاح" الأم مطلقة اذا نحكم على العائلة انهم سوف يتزوجون ويطلقون إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها. يا لطيف وكأن الزانية تنجب زانية او السكير ينجب سكيرا والأمي ينجب أميا وهكذا والعاصي راحت عليه وعلى ذريته أين أنت يا هتلر حين رخص قتل الأغبياء وبطيئي التعلم لأنه يريد شعبا ذكيا فقط "ان صحت الرواية ."

الراوية هل هي متخصصة في علم النفس العيادي ام هي من الدارسين في كتب حزب التحرير الفلسفية؟ ام قرأت كتاب التفكير للعلامة الشيخ تقي الدين؟ ثم إلى أي شيء أرادت الكاتبة الوصول اليه؟؟

الانتقال السريع والمقطوع بين الحين والآخر والذي يفقد القراء المتعة يبدأ في البحث عن تتمة ما قرأه، ثم اذا كان هذا هو مفهوم الرواية فالشعب كله رواة وكله ذكريات، فما على كل من يمسك القلم إلا ان يجلس عند نقطة في هذا الوطن الاشم وينقل ما يمكن ويجسد بقلمه لا بحسة.

لقد تحدثت الرواية عن مواضيع كثيرة منها:

1 .علم الاجتماع والنفس والخدمة الاجتماعية.

2 .المشاكل الأسرية من انحراف – تشتت – طلاق تفكك أسري – مشاكل بيئية وراثية.

3 .السجن الاعتقال والمحاكمات.

4 .الحواجز وحركات السلام.

5 .أفردت الرواية خبرا كبيرا للضمير وعذاب الضمير، لقد أعادت لي هذه الرواية أيام الدراسة ا لجامعية ومحاضرات علم النفس وعلماء النفس مثل بافلوف وكلاية والجرس وسيلان اللعاب والطعام، ومتاهات ثورنديك والفأرة والمتاهة وأطفالها، وسكنر وغيرهم من أصحاب نظريات التعليم الاشتراطي، لقد تبعثرت الكلمات وأصبحت كمن يحل كلمات متقاطعة في جريدة يومية.

لم تهد الكاتبة الرواية لأحد فأنا ان جاز لي ذلك أهديها إلى كل المعتقلين الإداريين والمطلوبين المطاردين من أبناء هذا البلد الأشم، وأقدم لكل الكتاب والروائيين أغنية وين عرام الله، والى شعبي في الوطن والشتات أغنية فيروز كانت لنا هناك ضيعة وبستان وقرية جميلة اسمها بيسان واسمحوا لي أن اختم بهذه

إنني ابثك من حديث والحديث له شجون.

يا رب أفرج عن الأسرى القابعين في غياهب السجون وقل للفجر أن ينادي الكسالى والنائمين. ملء الجفون هيا إلى الدرس يا أطفال أيها القادة القادمون امسحوا دمع الثكالى والأرامل. والشيوخ المسنين.

ثقوا برب ناصر ولا تركلوا إلى الظنون ورددوا الله اكبر إننا لمنتصرون.

أمّا **حذام العربي** فقد قالت:

بين **الجريدة والرواية**

في الفترة الاخيرة قرأت على الأقل أربع "روايات" بأقلام فلسطينية. موضوعاتها تعاملت مع الهم الفلسطيني والتصقت بواقعة في مناطق الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ . واذ ذلك، شملت هذه الروايات الكثير من حكايات المعاناة لأبطالها تحت حراب الاحتلال، وثقت لواقع الصمود والمقاومة في الشوارع والسجون، كما للسقوط في براثن العمالة للاحتلال وتعرضت لبعض الهموم والقضايا الاجتماعية.

في هذه الروايات قرأت عن تجارب، الأبعاد، السجن، الأستشهاد برصاص المحتل، هدم البيوت على رؤوس ساكنيها شيبا شبابا وأطفالا، تجريف مزارع الدواجن، وكل عرق اخضر، هدم المعالم الحضارية ألأثرية، وعن الكثير الكثير من موبقات الاحتلال، كل هذا ولم يرف لي جفن، ولم أغالب دمعتي ولو لمرة

واحدة– لماذا؟ هل أنا عاجزة؟ عاجزة عن تفعيل قنوات الدمع؟ وقد خلقت هذه القنوات والمآقي لحكمة، أصبحت اعرف عنها ولو القليل من جدتي "مآقي العيون صوابين القلب."

بل على العكس، لا أدري لماذا في بعض الأحيان وأنا اقرأ هذه الروايات خاصة في المشاهد المروعة، قفزت إلى ذهني مشاهد لنجوم الكوميديا العربية أمثال دريد لحام وعادل امام، ورحت أقهقه عاليا، ومع ذلك لم يخامرني شعور بالذنب أو الخجل او الشذوذ، وعند ذلك، ساءلت نفسي مرة أخرى لماذا هل أنا عاجزة" ؟ عاجزة عن التضامن مع هذه الشخصيات الواردة في هذه الروايات؟ ولكني كثيرا ما أشارك في المظاهرات والاعتصامات و.. و.. الخ وكل ذلك افعله وعيا وادراكا وتضامنا.. ام أني عاجزة عن التقاط موجات بث هذه المعاناة، تفعيلها على أوتار قلبي وتخزينها في خبايا نفسي حتى تمتلىء المخازن وتهتز الأوتار، وعندها أغالب دمعتي؟ قد يكون ذلك، ولم لا؟! ولكني اعرف كما الكثيرون ممن حولي يعرفون عنهم، ان خبايا النفس الإنسانية سهلة الانقياد والتضامن ادراكيا، والتعاطف حسيا ونفسيا مع المآسي عموما، فما بالك بالطاعون والجراد الضاري الذي يضرب في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧.

أين المشكلة إذن؟ لماذا نسمي ما تقدمه لنا فيروز عموما، فنا غنائيا راقيا؟ ولماذا نشير إلى "أغاني الأيوه آه، والهشك بشك" على انها هابطة، مؤذية للآذن، ومفسدة للذوق الخاص والعام؟ فهذه كما تلك رق وايقاع، عود وناي ! ما الفرق؟! لماذا

تحجرت صورة فارس عودة في ذاكرتي، حجر في يد طفل يواجه الاطنان من الحديد؟ هل يستطيع روائي او مخرج او فيلم سينمائي أيا كان ان يلون هذه الصورة، ان ينفض عن عيني فارس عشرات من سنين غربة والديه، وربما جديه، التي ذوتها في نفسه؟ لينظر جسورا في عيني انا القارىء للرواية؟ حدثتني ذات يوم طالبة في معهد للفنون انها تنوي تغيير اختصاصها، وكانت في فرع الرقص، قالت: الساقان يتحركان، يهتزان ويضربان على المسرح بلياقة ولباقة ما بعدها لياقة، ولكن الروح، الروح هي التي ترقصن وروحي انا... لا ترقص.!

كما سائر الفنون، الرواية قالب من الابداع، قرأت في الروايات المشار إليها أعلاه الكثير الكثير عن هذا يموت ابوه، وتلك تتزوج، هذا يصاب بشظايا قنبلة، يقرع أبواب الموت فلا تفتح له، وتلك تلملم أشلاء شاب عرفته منذ قريب، هذا يسجن وذاك يبعد، هذا يردد قصص لجوئه واغترابه في صقيع المنافي ومخيمات اللجوء، وتلك تندب سقوط حبيب على حاجز جيش الاحتلال، بأسئلة وجودية، وهذا وصف حقيقي اذ لا تكاد تجد عائلة فلسطينية لم يصل إليها طاعون وجراد الاحتلال .

ما الفرق بين ما اقرأه في هذه الروايات وبين ما اقرأه من تقارير في المجلات والجرائد ترصد بتضامن صادق هذه المآسي، وتتعرض تارة باقتضاب وطورا بإسهاب لمعاناة الناس.؟ الإنسان الفرد والجماعة تحت الاحتلال؟ ما الفرق بين ما اقرأه في الصحف من خواطر وجدانية صادقة حميمة تحاكي آلام وآمال الناس

وبين ما اقرأه في رواية؟ لماذا نسمي هذه صحيفة أو مجلة، وتلك رواية؟ هذا ديوان شعر وتلك نصوص مسرحية؟ هذا بحث وذاك تقرير؟ وإذا وكانت التقارير تشير إلى أن ٨٠ % من أطفال غزة في سلوكياتهم يعانون من ظواهر P.t.S.D فأذن نحن أمام حقيقة ان العادي والطبيعي أصبح في الهامش، ماذا نحن فاعلون؟ بماذا وكيف تعالج الرواية الفلسطينية هذا الواقع؟

وأعود لأسأل لماذا تحجرت الدموع في المآقي لقراءة الرواية الفلسطينية المشار إليها أعلاه؟ على الرغم من كل ما احتوته من الفواجع؟ هل هو إنكار للمشاعر؟ ام ان المشاعر أصلا لم تكن في الرواية وتركت القارىء بعيدا منفصما عن المأساة الواردة في سياق الرواية؟ هل هو جهاز الإنكار الرائع (والمرضي أحيانا) الذي يتيح للإنسان التعامل مع الفاجعة، وكأنها لا تخصه ولا تمت له بصلة؟ وذلك ريثما يستطيع التقاط أنفاسه ؟ حتى اذا جاز ذلك للعامة، فكيف يجيز المبدع هذا لنفسه؟ لي كقارئة توقعات من رواية تستنفذ من وقتي وجهدي وطاقتي الكثير، فما بالك بتوقعات القارىء الفلسطيني من الرواية الفلسطينية؟ لا بل أرى إن من حق الروائيين الفلسطينيين علينا ان نرفع سقف توقعاتنا منهم إلى عنان السماء. ولن نرضى لهم بأقل من ذلك.

ثم أجول في الرواية الفلسطينية (المشار إليها أعلاه) فاذ بها تطرحني أرضا تدوس توقعاتي، تصم آذانها عن وجع المآقي التي تحجر فيها الدمع، تقزم المرأة والأم الفلسطينية إلى حد الأهانة، تسهب في توصيف دورها في العطاء المادي

إلى حد الابتذال، تأمين الطعام والملبس، الهرولة إلى السجن ومكابدة المشاق لزيارة الابن/ة أو تقوم على سد الاحتياجات وإشباع الرغبات المادية، كتأمين الدراسة لأولادها، تجاهد الدنيا بأسرها لتضمن مصروفات الأسرة... أو تقارع جنود الاحتلال لانتزاع طفل أو شاب من براثنهم... أو تقطع الوديان لتسعف المقاتل الجريح... الخ. حتى تصورها وكأي أم في مملكة الحياة بما في ذلك القطة والبقرة، التي تهاجم كل من يتعرض لوليدها بالفطرة، ألم يهذب ويشذب الإنسان فطرته وغرائزه؟

أمّا ذلك الأب "الرجل المسكين" فقد اختزلت دوره إلى ما هو أدنى من العطاء المادي، انه يذبح الخروف فرحا ووفاء لنذر، أو "يذبح" أبنه و/ أو ابنته جهلا وتخلفا وعنفا، أو يدخل السجن راضيا مرضيا، دون أن يرق له قلب أو يرف له جفن ، اذ ان "السجن للرجال، والبكاء عيب عليهم" هل هذا كل ما نحن؟ لماذا ابتلعت روايتنا العطاء المعنوي النفسي؟ لماذا تقتل الرواية الفلسطينية تلك، مظاهر العطاء الروحي؟ السنا ككل البشر، نساءا ورجالا لنا احتياجات عاطفية روحية ونفسية أيضا؟ لماذا تصمم الرواية المذكورة على فصم عرى النفس عن الجسد الفلسطيني في عملية ميكانيكية ساذجة، باهتة وسخيفة إلى حد الهبوط والإسفاف؟ لماذا تقدم لي " وليمة من القش" تقمصت في وجوه مطاطية او بلاستيكية عديمة المعالم، ضبابية الملامح، خالية من التعابير؟

هل معالجة الحالة او العطاء المعنوي الروحي النفسي تقع في خانة التابو الذي لا يجوز لنا التعامل معه؟ قيم الحزن، الحب، السعادة، الخير، الأمل، الحياة، الموت، الفراق، الأسى، الحرية .. الخ تماما كما الانتماء للوطن من مكونات النسيج النفسي الإنساني للافراد والجماعات، لماذا اذن نتعامل مع كل قيم العطاء المادي ونطرح جانبا كل وأي مظهر من مظاهر العطاء الآخر؟ هل هذا تجاوب غير واع مع محاولات طمس معالم إنسانية الفلسطيني؟ أو اضطررنا إليه اضطرارا واعيا مدركا، كي نحافظ على أنفسنا من هول ما نحن فيه؟

قد يكون التماس العذر للعامة في ذلك، أن كان وعيا او لا وعيا، من موجبات المرحلة، اثناء اجتياز المعارك والعواصف يصب الفرد والجماعة جهدهم في البقاء، البقاء بأبسط معانيه، إلا ان المطلوب من القيادات، النخب، بمن في ذلك الروائيون يتعدى ذلك، لا بل هم مطالبون وفق توقعاتنا، وما ننشده لهم ولأنفسنا على لسان شخصيات رواياتهم وأبطالها، أن ترتقي على الأقل إلى ما هو موجود على الساحة فعلا، عندها تصبح روايتنا قطعة موسيقية رائعة أو أنشودة فرح للحياة، لا أن تقزم الروح المعنوية والعطاء العاطفي، الوجداني والنفسي ثم تحشره في أكياس للقش، او في أوراق مصقولة من القطع المتوسط لتجهز علينا (الرواية) بتسمم دماغي عاطفي وجداني، اثر "وليمة قش روحية"؟

ألا يكفينا عبثا ما نحن فيه من عبثية الزمان والحدث؟ ألا يكفينا طاعون الاحتلال وجراده الذي يلتهم عمرنا يوما بعد يوم وساعة اثر ساعة؟ ألا يكفينا هما وغما

تعب الجسد وخواء المعدة؟ اذا احتاج القارىء إلى "ثرثرة وجودية" يذهب إلى الأصل، إلى النصوص الوجودية لهايدجر وبول سارتر وغيرهما، واذا اراد التبحر في قضايا الأخلاق، المعاناة، الأمل الطريق القويم... الخ يستطيع ان يراجع النصوص الدينية وصولا إلى بوذا أو كونفوشيوس أن احب ذلك، وكذلك اذا احتاج قراءات فلسفية يعرف القارىء العادي الوصول إلى الحواريات الافلاطونية، ولماذا عليه الاكتفاء بصدى باهت لهؤلاء؟ "يتحفه" بخطبة عصماء عن الاخلاق الحميدة او بخواطر وجودية ذات توليفة لغوية مطلسمة؟ هل أصبح القارىء فأر تجارب الكاتب/ة ؟ أو انه مكب نفاياته؟ ثم بعد ذلك يطلع علينا أصحاب الأقلام بتأفف وضيق وشكوى: شعبنا لا يقرأ؟ هذا صحيح، دائما هناك إمكانية تبني تلك المقولة "النرجسية" لذلك الممثل المسرحي ساعة غضبه اذا لم تلاقي مسرحيته الإقبال الشعبي الذي توقعه "سقط الشعب ونجحت المسرحية"، رجاء وأمل وتمن على الرواية المتدثرة في برجها العاجي العاقل ا لمتعقل ، المفكر الرزين، الفيلسوف الحانق، ان تتواضع و "تنزل إلى الشعب"، فهناك دفء قد يفاجئها، مع أني أرى انها بذلك ترتقي ولا تنزل .

كل ذلك اذا قلنا أنه لا بد للرواية الفلسطينية من ان تتكىء على أحداث الانتفاضة والمقاومة، ولا بأس في ذلك، فهذه حياتنا وعلينا الالتصاق بها، ولكن هل تحتاج الرواية الالتصاق بالشيء، سرده تقريريا ثم سرده عينيا إلى ان نحفظه عن ظهر قلب؟ كمن يتمتم صلاة حفظها عن ظهر قلب؟ لا بأس في ان نفعل ذلك ايضا، ولكن للرواية كصيغة أبداعية بعض القواعد، الضوابط والحدود، معروفة لكل

قارىء او ناقد مبتدىء، اللغة، الشخصيات، الحبكة، المبنى، الإيقاع، التناغم.... الخ. علما أن الإبداع، كل أبداع يفرض ويتطلب كسرا للقواعد، لكن هل كل كسر للقواعد يقع في خانة الابداع؟ حتما؟.

إحدى قريباتي تزوجت من رجل أجنبي أبا عن جد، ولسوء حظه، قريبتي هذه تحب كثيرا أكلة شعبية في بلدنا اسمها "رشتاية"، وعليه تعلمت طهي الرشتاية من امها وفق الاصول، ومن نكد حظ هذا الرجل عليه ان هذه الأكلة مناسبة جدا، وعادة ما تقدم في بلدنا في الشتاء، لا أدري اذا كان اسم الأكلة اشتق او نسب إلى الشتاء، علما ان هذا المسكين وزوجته قريبتي يسكنون في كندا لكم ان تتخيلوا الفرق بين مدة شتائنا وشتائهم، واذ كان زوج قريبتي مبدعا، طالما ساومها على ان تحسن من مذاق الرشتاية بأن تضيف اليها مواد غذائية أخرى كالخضراوات او أنواع اللحوم او الاسماك، لكنها صمدت في وجه كافة المساومات، ويوما ضاقت ذرعا بمساوماته، وهاتفت أمها ممتعضة من الوضع: وشو عملتي بعدين؟ قالت محتدة: قلت له اذا بطبخ الرشتاية مثل ما بدك بتبطل الرشتاية رشتايه .

للأشياء أسماء، وللأسماء والمفردات معاني ومضامين وقواعد وضوابط. وهذا ينسحب على كل ما نصادفه في حياتنا من غذاء للروح والجسد، او اشباع للذهن، للأدراك، للحواس والغرائز، لا ادري لماذا نصمم على تسمية ما نكتبه رواية، الرواية كما كل شيء كما الجريدة لها فعل ودور في حياتنا، واذا كانت روايتنا

تشبه كلام الجرائد، مع بعض الإضافات هنا وهناك، فلا بأس من ان نبدع أو نبتدع صيغة هي بين الجريدة والرواية ولأسمها "جرواية."

وبعدها تحدثت **هالة البكري** فقالت :

حبات السكر للكاتبة "مايا أبو الحيات" أو عنوان فرعي " الشاعرة والشيخ" أقصوصة صورة وليست رواية، تضاءل فيها شأن الأحداث وحركتها وشخوصها باستثناء شخصية البطلة، وركزت على بعض الصور التي جسدت بعض الأجواء من البيئة المحلية الفلسطينية اجتماعيا وسياسيا ودينيا وعلى ما يعتمل في قلب وعقل ونفس البطلة من مشاعر، لم استطع أن اربط بين العنوانين اللذين اختارتهما الكاتبة وبين العمل مع إنني أحب الرمز في الأعمال الأدبية .

من خلال العمل تتصارع الأفكار في عقل الكاتبة فتترجمها أفكارا وشخصيات مشتتة وحوادث مبتورة ضمن معاناة ذاتية فلسفية اجتماعية وسياسية، أخلاقية ودينية بالرمز حينا وبالمباشرة حينا آخر، وقد قسمت الكاتبة العمل إلى سبعة أقسام معنونة، إلا أن أحداثها لم تكن مرتبة بشكل فني ومنطقي، وقد شعرت بالتشتت والتيه وأنا أقرأ العمل خاصة في بدايته، وأن مصدر حكايات "مايا" قاصرة ومبتورة ومستمدة أما من تجارب شخصية، أو من خلال تجارب الآخرين في ما ترى أو تسمع وتقرأ، فهي تصور البطلة من داخلها في ما اختزن في وجدانها من أثار نفسية وتأزم وانفصال عن الواقع، لينفجر وعيها ذكريات وتداعيات واحلام.

مايا تكتب تجربتها الأولى بعفوية وصدق، تتلمس الواقع بأسلوبها الخاص. لكن لا بد لقاموسها أن يكون أكثر غنى وخصبا كي تستطيع أن تقدم الحياة التي تبدعها بكل ألوانها وأشكالها وحركاتها بشكل افضل .

وبعدها تحدثت **ديمة السمان** فقالت :

سعدت عندما قرأت رواية حبات السكر للكاتبة الناشئة مايا أبو الحيات... فهي كاتبة متمكنة ومحترفة في توظيف الكلمة بشكل كبير.. مبدعة في الوصف.. وقادرة على إلقاء الضوء على العديد من القضايا التي تحتاج إلى جدل ونقاش بصورة مبدعة..

مايا طرحت العديد من القضايا التي قد لا يجرؤ أن يطرحها أي كاتب حتى لو كان متمكنا.. فرسمت العديد من الاسكتشات التي يربط بينها خيوط دقيقة... فتتدحرج الكلمة من صورة إلى أخرى لتتوه في بحر من اللوحات المبدعة... وتعود لتسأل نفسك ماذا تريد الكاتبة؟

رواية من نوع مختلف.. يتمرد على مفهوم الرواية وقواعدها.. تصل بك إلى نقطة اللاعودة.. وتتركك تتوه عندما تنتقل إلى صورة اخرى.. قد تكون الصورة الآتية أكثر جمالا.. ولكن الكاتبة لا تشبعك.. فتعود لتشعر بالضياع فتتشتت في عالم غير العالم.. لتعود وتسأل.. ماذا تريد الكاتبة؟

تحاول تلخيص ما قرأت فلا تنجح.. هي لوحات مبعثرة.. تحاول لملمتها لترسم صورة أكثر عمقا وشمولا.. وتعود تسأل: ماذا تريد الكاتبة؟؟

تساؤلات كثيرة طرحتها بنجاح.. تثير جدلا اجتماعيا كبيرا.. أشهد أنها مررتها بكفاءة.

ولكن.. هل تحتاج الرواية إلى مثل هذه الفوازير والأحجيات لكي تمرر الكاتبة رسالتها؟ فتفقد بذلك عنصر التشويق الذي يشكل أهم عنصر يربط القاريء بالرواية؟ أتساءل.. قد يكون لون من ألوان الفلسفة التي يعتمدها بعض الكتاب الذين يطرحون بعض القضايا على شكل مونولوج (حوار مع النفس).. إلا أنني أعتقد أن الكاتبة بالغت في هذا الموضوع.

مايا كاتبة متمكنة ومبدعة في رسم الصورة.. وفي دغدغة المشاعر بواسطة اللعب بالكلمات.. قلمها سهل وطيع في يدها.. خاصة في اللحظة المأزومة.. حيث تترك العنان لأحاسيسها ومشاعرها تنطلق دون تحفظ.. ولهذا أعتقد إن بواسطة فن الشعر والمقطوعات الأدبية الصغيرة سنصل الى قمة الابداع.. هذا هو العنوان الأصح.. الذي قد يناسبها أكثر من فن الرواية.

وفي الختام.. استطاعت مايا أبو الحيات أن توظف كلمتها في خدمة نقل الواقع المرير لشعبنا الفلسطيني المعذب في ظل قمع الرجل المقموع.. والذي يفرغ مشاعره من خلال ممارساته الظالمة بحق نصفه الآخر.. بحق ضلع من ضلوعه الذي لا غنى عنه.

كما انها أبدعت في الغوص في النفس البشرية "فقد وصفت الصراع النفسي الذي لا غنى عنه بعمق وحرفية تستحق الإشارة ."

أتمنى لها التوفيق.. والى الأمام.

وبعدها تحدث **خليل سموم** فقال:

*قصة واقعية، تروي التجارب المرة لفتاة، مع عائلتها، ومع من أحبت، ومع حواجز الاحتلال، وغيرها...

* القصة برأيي مشوقة، فلقد انجذبت لقراءتها حتى النهاية.

* القصة بأسلوب كتابتها أقرب إلى المذكرات الشخصية منها إلى القصة العادية، فهي وصف لمشاعرها، ولتجاربها.

* لقد نجحت الكاتبة في إقناعي بتفهم مواقفها، وحساسياتها، والمكنونات العميقة لنفسها.

* بعد انتهائي من قراءة القصة شعرت أنني لم أمض وقتي هباءا في قراءتها، بل بالعكس، فإنني استفدت كثيرا من قراءتها.

* وأخيرا، فإنني أتوقع للمؤلفة مستقبلا جيدا في تأليف القصص والروايات.

وفي النهاية قال **وليد سالم:ـــ**

اسم الرواية "الشاعرة والشيخ" الوارد في صفحتها بعد الغلاف هو أنسب لها من "حبات السكر" الواردة على غلافها، ويبدو ان "الشاعرة والشيخ" قد كان الاسم الأول للرواية والذي تغير في اللحظة الأخيرة! سأكرر ملاحظاتي الأساسية على قضية التناقضات في كل من شخصية أميمة الشاعرة / الفيلسوفة كما تظهر الرواية، وشخصية عبد الله الشاب الإسلامي الواقع بين مطرقتي الدين بمفهومه الشائع، وبين الحداثة التي تسمح للمرأة بأن تخرج للحياة العامة وان تحب وتحب.

ما يلفت الانتباه في "أميمة" هو توجهها الشعري والفلسفي، كما انها تطمح أن تكون روائية تنتج نص الانتفاضة الذي لم ينتج حسب عادل الأسطة كما تقول في "ص٦٢". نص الانتفاضة الذي يجعل الإنسان يكون جديرا بألمه حسب مقولة دوستو يفسكي الواردة في البداية٠ نص الانتفاضة الذي يعكس نضالات وتضحيات الشهداء ومنهم عامر "الذي أسقطته الانتفاضة من حكايتها برصاصة في الرأس"ص٦٢ ".

ومقابل ذلك فإن أميمة الإنسان/ المرأة في مجتمع شرقي تعاني من تناقضات في سلوكها وشخصيتها٠ انظروا مثلا إلى أنها انتخبت فتح "تحيزا لحلم عامر" ص١٠ . وأسأل لماذا هذه التبعية؟ أو قولها ص٦٤ في سياق حديثها عن عبد الله "لم أرتد الحجاب لأجله... ربما فتحت القرآن الكريم ذلك اليوم لأثبت شيئا ما..

لأقترب منه "ص٦٤ . انظروا إلى هذا التناقض: لم ترتد الحجاب لأجله، ولكنها تسمع القرآن لتقترب منه!

وما معنى ان يكون حصول ذلك بعد اتهامه لها "بالمبتذلة والرخيصة" في مكالمته الهاتفية معها من السجن؟ تناقض آخر نجده في النص التالي (مرة أخرى عن عبد الله): "لم ارغب يوما وأنا معه بما ترغب به الأنثى مع رجل تحبه. كان حقيقيا أكثر من اللازم، وكنت بين حقيقتي وحقيقته متناقضة في ما أومن به وما أريده". ويختلف هذا التناقض عن الأخرى السابقة، فهو تناقض بين الحاجة إلى الحب، وبين الحاجة إلى مثال أعلى فكري أخلاقي حقيقي مثله نسبيا لها عبدالله.. ويزداد هذا التناقض جلاء مع قولها "كنت متأزمة قبلك، وكنت أعلم ذلك، عرفتك ولم اعرف عني شيئا، غريبة أنا الآن عني وان كنت سعيدة باختلافي ووصولي إلى النور المتقد في داخلي" ص٩٦ . التناقض هنا هو بين طبيعتها المتمردة على واقعها وبين الانضباط من النوع المتزمت الذي يطلبه منها عبدالله بما يقتل كما تقول "عفويتي التي أرعبت عبدالله.. كان دون أن يدري ربما يحاول قتل روحي الحرة وكنت... أكاد اختنق" ص٨٤.

وبهذا يمكن الاستنتاج أن وهم الحب الذي عاشته أميمة مع عبدالله قد نبع من تمردها على واقع القمع الذي كانت تجده في بيتها، ولكنها هربت من غياب الحب في البيت إلى وهم الحب مع عبدالله وهنا توجد مأساة بحجم الفاجعة .

أمّا التناقض الآخر فهو لدى عبدالله، وأشكر هنا الكاتبة لتركيزها على شخصية من هذا الطراز مسلمة باقتناع ايديولوجي يقود إلى السجن، ولكنها أيضا إنسان له مثلا شخصية غيورة (غيرة عبدالله من عامر وخشيته اذا ما كانت اميمة لا زالت تفتقد عامر ص٣٦) وله أيضا مذكرات حب يكتبها في السجن لأميمة (ص٣٥ – ص٥١)، ولكنه في المقابل لا يقبل للمرأة سوى ان تكون تابعة له "لن يقبل إلا بكوني جزئية في منطقته" "ص٢٨" وقوله في كتاباته السجينة "عساك تتخلصين من الأقنعة عن الوجوه المحيطة بك وتدركين الحقيقة" "ص٤٨" وقوله "عساك تمسين انت، عساك تصبحين أنا" "ص٤٨ أيضا."

ومن تناقضات عبدالله اعترافه بالحب كإنسان، ورفضه له من منطلقه الفكري، لهذا اراد إنهاء العلاقة معها قبل ان يسجن (ص٢٧)، وفي السجن أيضا كتب تعبيرًا عن هذا التناقض "احبك كما لم أحبك من قبل. اكرهك كما لم اكرهك من قبل" ص٤٨ .. فهذا المزيج من الحب والكره هو اسطع مثال على موقفه المتناقض اتجاهها وبين انسانيته وبين تأدلجه "ثم أضاف" اضاف السجان جدارا آخر وان كان واهيا لما بيننا من جدران" ص.٤٤

ولم يقبل عبدالله في خضم هذه التناقضات ان يتخلص من نظرته المضادة لحق المرأة بأن تحب، لهذا اتهم أميمة بأنها تركض وراء الرجال وبأنها مبتذلة ورخيصة تسعى لأن يقع الرجال في حبائلها! (ص٦٤).

بهذا كله نجحت الكاتبة في عكس تناقضات شخصية المرأة الفلسطينية المحاصرة بين القمع وبين تمرد ذو جوانب ايجابية واخرى ردود أفعال، وتناقضات شخصية المسلم الأيديولوجي الفلسطيني بين الأيديولوجيته وانسانيته. وجاء طلاق الأم والأخت(دلال) والموقف المجتمعي السلبي من زواج الأم مرة أخرى ليعكس الفواجع التي تعاني منها المرأة الفلسطينية.

في الرواية أحداث مقحمة كان يمكن ان تتم بدونها مثل ما كتبت عن أبو سعيد (ص١١) وقصة شاب جنين (ص٤٤) وقصة الأخدود (ص٤٦) ودخول وورد المفاجي (ص٦٣).

وفي الرواية أيضا نص غائب وكامن، كان افضل لو كتبته عن عامر والانتفاضة .